

## التربية

( ووجه الحاجة اليها وتقاسيمها )

• والسلام على تربية الامم والاسلام ، والتربية الدينية والاسلام ، وتربية الارادة •

( خطبة ارجالية أقيمت في مدرسة العلوم السكية بعليكره )

أيها النواب الجليل ! أيها الاساتذة والوجوه الاجلاء ! والطلاب النجباء !  
شرفتموني بدعوتكم إليي الى الخطابة فيكم ، فلم أر بدءاً من اجابة دعوتكم  
والشكر لكم ، وقد اخذت أن يكون كلامي في التربية التي هي من علمكم وعملكم ،  
وان كنت في ذلك كمن ينقل التمر الى البصرة - كما يقال في المثل - ولو شئت لتكلمت  
في موضوع ليس لكم فيه علم تفصيلي كحالة المسلمين في بلادنا ، ولكن بحث التربية  
أهم ، والحاجة اليه أشد ، فرأيت أن أعرض على مسامعكم شيئاً من رأيي فيه لاني  
أستغل به علما وعملا كما تستغلون ، فان وافق رأيكم حمدت الله تعالى على اتفاقنا في  
هذا الشأن العظيم على جد الدار ، واختلاف اللسان ، وان خالفه رجوت أن تنبهوني  
وتنبهوا لي ما ترون أنه الصواب فأستفيد من علم اخواني ونجارهم ما أنا في أشد  
الحاجة اليه ، والحقيقة بنت البحث كما يقولون

تقسم مباحث التربية الى عدة اقسام باعتبارات مختلفة ، فمن ذلك اقسامها بحسب  
الموضوع الى تربية الجسد ، وتربية النفس وتربية العقل ، ومنه اقسامها بحسب  
الموضع الى تربية المنزل وتربية للمدرسة ، واقسامها بحسب المرئي الى تربية الأم  
والاب للولد وتربية الاستاذين للتلاميذ ، وتربية المرء لنفسه ، واقسامها بحسب  
المرئي الى تربية الافراد وتربية الامم . وهناك اقسام أخرى أصلية أو فرعية  
كبحث التربية الدينية ونسبة المسلمين فيها الى غيرهم من أهل الملل ، وبحث تربية  
استغلال الفكر والارادة وهو من فروع تربية العقل وتربية النفس

أما وجه الحاجة الى التربية فلا أراني في حاجة الى الإفاضة فيه لأجل الاقناع  
به فان هذا قد صار عند أمثالكم من قبيل البديهيات التي لا نزاع فيها ، وانما أذكركم

بعض آيات القرآن الحكيم في ذلك للتذكير بهدايته المليا وموافقته ما يدل عليه العقل والتجارب ، ونقتضيه طبيعة الاجماع البشري

قال الله تعالى « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السم والابصار والاقدة لعلكم تشكرون » يعني ان الله تعالى خالق كل فرد من أفراد الانسان جاهلاً لا يعلم شيئاً مما يحتاج اليه لاقامة بناء حياته الشخصية والتوعية فكان في مبدأ خلقه وأول نشأته دون سائر أنواع الحيوان التي خلقها الله تعالى طائفة بما تحتاج اليه بالفطرة متوجهة اليه بالطبع ، ولذا قال تعالى في آية أخرى « وخلق الانسان ضعيفاً » فالانسان من هذه الجهة أضعف من الحيوانات حتى ما كانت بينها منها أضعف من بنيتها ، ولكن الله تعالى اعطاه من المواهب والقوى ما ان استعمله فيما خلق لأجله كان أقوى المخلوقات في هذه الأرض يسخر الحيوانات القوية لمنفعته ويستخدم قوى الطبيعة في أعماله ، وبهذا كان في جموعه خليفة لله في أرضه ، يظهر أسرار خلقه وسننه الحكيمه فيها ، وقال تعالى في خلقه بهذه المزايا « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم » وهو لا يرتقي في مدارج الكمال بمزاياه الا بشكر الله تعالى على نعمة الحواس والمشاعر الظاهرة ، والعقول والوجدانات الباطنة ، وعبر عنها بالاقدة في الآية حسب استعمال العرب ، وانما الشكر عليها هو استعمالها فيما خلقت لأجله من تحصيل العلم بالنافع والمضار والمصالح والمفاسد لأجل العمل بما تقتضيه الفطرة من اجتناب المضرة والفسدة ، واختيار المنفعة والمصلحة ، على بصيرة وعلم

العبرة في الآية ان الشكر من أعمال الانسان الاختيارية ، لا من المواهب الفطرية ، وقد أرشدنا القرآن ، ودعا العلم والاختيار ، على أن الانسان يستفيد من حواسه وعقله بقدر تعاون أفراده على ذلك بالبحث والعمل واستفادة المتأخرين مما وصل اليه علم من قبلهم واختبارهم . حتى لا يضطر كل منهم الى استئناس الاختبار لكل ما يحتاج اليه من الضروريات ، فلا يفرغ حينئذ احد منهم الى الترقى في مدارج السكاليات ، ووجهة القول في هذه المسألة ان الله تعالى وهب للانسان المشاعر والمدارك الظاهرة كالسمع والبصر والباطنة كالعقل والوجدان ، وجعلها آلات له يرتقي بها الى ما هو مستعد له من السكال ، ووكاه في ذلك الى نفسه ، وقاط سعاده او شقاوته بطبه وعمله ، فكان محتاجاً بمقتضى فطرته الى ان يقوم بعض أفراده بتربية الآخرين وتعليمهم حتى لا يطول عليهم امد الجهل ، والخطأ في العمل ، وانما يكمل ذلك بجعل التربية والتعليم قنينين يفرد بهما من يتقونهما

كما انعم الله تعالى على افراد الناس بالطواص والعقول ، انعم على جماعتهم بعلم آخر  
أعلى من العلوم التي يستفيدها كل فرد بكسبه وبمجهته ، وهو الوحي الذي ايد به  
رجال منهم بافاخته عليهم من لدنه بغير كسب ولا بحث ، فكان كالمقل للنوع - كما  
قال الاستاذ الامام - ولولاه لما ارتقى البشر الا في الزمن الطويل ، بالسير الناقص  
البطيء ، « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين »  
هذه اشارة الى ما تقتضيه فطرة البشر من الحاجة الى التربية والتعليم ، فقرنها  
بشارة اخرى الى مكانة التربية والتعليم من دين الفطرة الذي حتم الله به الايمان ،  
وهو دين الاسلام ، واكتفي في بيان هذا بقوله تعالى في سورة الجمعة « هو الذي  
بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة  
وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » وقوله تعالى في سورة البقرة « كما ارسلنا فيكم  
رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويهداكم ما لم تكونوا  
تعلمون » فقد بين الله تعالى أنه ارسل رسوله ليكون مرييا معلما ، فان الزكية هي  
التربية الفضلى التي تكون بها نفس الانسان زكية كريمة متحلية بالفضائل ، مطهرة  
من الرذائل ، والكتاب مصدر بمعنى الكتابة اي يعلمهم ان يكونوا كاتبين لما يعلمونه  
ليحفظ ويتنشر ، وان يكونوا حكماء عارفين بالعلوم النافعة التي ترتقي بها افرادهم  
وجماعتهم ، وليس وراء هذا التعليم وتلك التربية غاية ، الا ما يترقب على السكالك  
فيها من سعادة الدنيا والآخرة

#### تربية الامم ورسالة خاتم النبيين

أتقبل من هذه المسألة الى كلمة أقولها في تربية الامم وهي من أقسام التربية التي  
ينشأ في بدء الكلام فأقول : المراد بتربية الامم إحداثات انقلاب عام فيها وتقلها من  
طور الى طور اعلى منه وأرقى في الحياة المادية والمعنوية ، وهذا العمل هو اشق  
الاعمال البشرية وأرقاها ، وهو يتوقف على علم صحيح واسع يقل في الناس من يتقنه ،  
وعلى بصيرة نافذة يندر في البشر من يؤتاها ، وعلى اعوان كثيرين من اهل هذه  
البصيرة والعلم يعملون بالتعاون والاختلاص ، وما كل علم بصير يتقن العمل بعلمه  
ويبلغ فيه ، وان كان عمله دون اصلاح احوال الامم ، وتغيير احوالها الاجتماعية ،

وانما تغير أطوار الأمم عادة بالتدرج البطيء ، في الزمن الطويل .  
 ان علوم الاجتماع البشري والاخلاق وطبائع الأمم والسياسة والتربية وغيرها  
 من العلوم التي يحتاج الى معرفتها رجال الإصلاح الذين يربون الأمم قد صارت مدونة  
 تدرس في معاهد العلم وهي مقتبسة من كتب الأديان ومن النواحي والتجارب ،  
 والتفتون لها في الشعوب المتقدمة كثيرون في أنفسهم وان كانوا أقل من المنقذين  
 تغيرها ، ولكن لا يوجد فيهم من يقدر على أحداث انقلاب سريع او تغير في احوال  
 امة من الأمم البدوية مع الأمم الحضارية ، وانما يحاولون مثل هذا التغيير بانتشاء  
 المدارس الكثيرة وتعميم التربية والتعليم ، وتعاقب القائمين بذلك عدة اجيال ،  
 اذا تصفحنا تاريخ البشر رأينا ان أبداع تلك وأعرب صورة من مثل تربية الأمم  
 وصورها هو ما كتبت برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : أي نشأ لم يقرأ  
 كتابا ، ولم يملك بيده قلم ، بل لم يكن يوجد في بلده الذي نشأ فيه كتاب يقرأ  
 ( بالحق الذي يفهم الآن من كلمته « كتاب » وهو مجموعة صحف كتب فيها كتب  
 من المسائل ) وقال بعض المؤرخين : انه لم يكن يوجد في مكة قبل بعثته أحد يعرف  
 الخط الا ستة رجال ما تعلموه في مدرسة ، ولا قرءوا به علما ، وانما ألتأمهم الضرورة  
 الى ذلك بالتجارة ، ومخالطة بعض الشعوب في الاسفار ، نبي هذا شأنه وشأن قومه  
 في الأمية ، والبعث عن اسباب العلم والحضارة ، نهض بتربيتهم وهو في سن السكولة ،  
 فتم التغيير والتبديل ، قبل اقراض الحيل ، بهداية هذا القرآن الحكيم ، وتربية  
 هذا النبي الامي العظيم ، ثم حمل هذه الهداية الذين تربوا بها في الكبر ، الى أهل  
 الحضارة والبداءة من شعوب البشر ، فما دخلوا قطرا من الاقطار محاربين أو مسلمين ،  
 الا وجذبوا أهلهم الى دينهم ولقنهم من غير مدارس نشأ ، ولا كتب تقرأ ، ولا جالس  
 للجدال تعقد ، ولا أموال ولا منافع تبذل ، ولا سيف للاكراه على الدين يستل ،  
 وانما كانت سيرتهم الطاهرة ، وآدابهم العالية ، هي التي تجذب الأمم اليهم ، وتفسر  
 سرايرها على الاقتداء بهم ، وتفود عقولها الى الدخول في زميرهم ، وقد شهد لهم  
 وان تبهم من بعدهم علماء الافرنج النصفون وهؤرخوهم المحققون ، قال الحكيم  
 الفرنسي غوستاف لوبون صاحب كتاب حضارة العرب : ما عرف التاريخ قاتما أرحم  
 ولا أعدل من العرب . . . وقد بينت كيفية نشأة الاسلام وانتشاره في خطبتي الختامية  
 لاحتفال ندوة العلماء -

أريد بذكر هذا المثال الحارق للعادة من تربية الأمم أن اذكر لكم آية على نبوة

بينما صلى الله عليه وسلم تفوق جميع ما أوتي النبيون من الآيات التي لأجلها آمن بهم الناس ، فانها آية عامة عملية ، تدل على التأييد الإلهي دلالة عقلية حسية ، وأما نحو قلب العصا حية وإبراء الأعمى والأبرص فليست دلالة على النبوة من هذا القبيل ، وقد آمن بسببها من آمن من الناس لأنهم اعتادوا ان يخضعوا لمن يظهر على يديه أمر يملو قدرتهم ، لاقتقادهم ان ذلك لا يكون الا من القدرة الإلهية ، والسلطة الغيبية ، وكانوا بذلك يقبلون هداية الأنبياء عليهم السلام فيحصل المقصود من بعثهم. وقد ضرب ابو حامد الغزالي في كتابه القسطاس المستقيم مثلا للفرق بين الآيات العلمية التي هي العبرة والأصل في الدلالة على نبوة نينا ( ص ) والآيات الكونية التي كان يحتج بها الأنبياء السابقون عليهم السلام فقال: اذا ادعى رجل انه طيب ودعا المرضى الى قبول معالجته واستعمال أدويته واستدل على صدقه في دعواه بقلب العصا حية لا يكون دليله كدليل من يدعي مثل دعواه ويدعو الى مثل دعوته مستدلا على صدقه بكتاب ألفه في علم الطب ثم بمعالجته طائفة من المرضى بما في ذلك الكتاب من بيان طرق العلاج والأدوية وشفائهم بذلك في أقرب وقت وأسرعه

نشأ نينا صلى الله عليه وسلم أميا بين قوم أميين ولم يعن في صباه وتهد شبابه بما كان يعنى به فصحاء قومه واذا كانوا من الشعر والخطابة ، والمبارات في المفاخرة والمباينة ، ثم قام في سن الكهولة يدعو قومه وسائر الأمم الى إصلاح ما فسد من عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم وسياساتهم واحوالهم الشخصية والاجتماعية ، وقال ان الله أوحى اليه من العلم ما يكفل ذلك ووعدته أن يؤيده فيه فهو يربي قومه العرب ويركبهم بالقرآن ويعلمهم الكتاب والحكمة وهم ينشرون دعوته وينشرون حكمته في الأمم ، فيفتح الله لهم المشرق والمغرب ، وينقل الله بهم الأمم والشعوب من حال الى حال أعلى وارقى - من الوثنية والعبودية والذلة والظلم وفساد الاخلاق والآداب والجهل الى التوحيد والعدل والحرية والآداب والفضائل والعلم وعمراته ، - وقد كان ذلك - فهل يعقل ان هذا مما يقدر عليه أمي مثله بعلمه الكسبي واستمداده الشخصي؟ كيف ونحن نرى الدولة القوية بالعلم والنظام والسلاح تستولي على قطر من الأقطار أو شعب من الشعوب بالقوة القاهرة ثم نقبض بكتنا يديها على جميع أسباب حياته الحسية والمعنوية ، ومصالحه الجسدية والروحية ، ونحاول ان تربيه تربية جديدة ، مهتدية في ذلك بالسنن التي هدتها اليها علوم الاجماع والسياسة ، فتمنعه من قراءة ما ينقضي غرضها من الكتب والصحف ، وتنشيء له المدارس في كل بلد من بلدانها

وتبت في كل منها دعاة دينها ، فيملكون الصغار في هذه المدارس لغتها ودينها وتاريخها وكل ما يشغل النفس والعقل بها ، ويجول المعلمين عن دينهم ومقومات أمتهن ومشخصاتهن الى أبحال ما تحاول الدولة الفاتحة ان تحدهن لهم من المقومات والشخصيات ، ثم تراها لا تكتفي بتكوين الصغار تكوينا جديدا ، بل تحدث في نفوس الكبار كل ما يستطيع من الاحداث التي ترزعج كل ما كانوا عليه من مقومات أمتهن ومشخصاتها كتعبير العادات والأزياء ، ونشر الجرائد التي تشغل الأذهان والأفكار بعظمة تلك الدولة وامتها وآدابها وسياستها ، - يتولى كل هذه الاعمال رجال استعدوا لها ، وحذقوا علومها في المدارس العالية ، ثم تمر الأجيال ولا تستطيع دولة من هذه الدول الفاتحة بالعلم والقوة ان تحول أمة عن دينها ولغتها كالتهويل الذي احدهه الاسلام في حيل واحد بتحويل عدة أمم عن دينها ولغاتها وماداتها بدون استعانة على ذلك بالمدارس والجرائد ، ولا يشير ذلك من الاسباب الصناعية التي هدت اليها العلوم الاجتماعية ، أليس هذا برهان علمي قطعي على ان نبينا ( ص ) كان مؤيدا من الله تعالى فيه وانه من خوارق العادات ؟ بل إنه أعظم الخوارق وأتواها ، وأظهر المعجزات واسماها ، وحسبنا منه الإشارة اليه ، والتذكير به

#### تربية البيوت والامهات

أثقل من هذا الى كلمة وجيزة في تربية البيوت - : تعلمون أيها الفضلاء أن تربية البيوت هي الأساس الذي يبني عليه ما بعده ، وان الامهات هن اللواتي يقمن بها ، وماذا تفعل في أمر هذه التربية ونسائنا قد استحوذ عليهم الجهل بكل ما توثق عليه التربية من العلوم والآداب الدينية والدينية بعد أن كن يضررن مع الرجال في القرون الاسلامية الاولى والوسطى بكل سهم ، وينفن حظهن من كل علم ؟ - لأن الاسلام فرض العلم على الرجال والنساء جميعا ، ولم يجعل بين الفريقين فرقا في التكليف الا ما هو خاص بكل منهما بمقتضى الفطرة او طبيعة الاجتماع (وكأحكام الحمل والولادة الخاصة بالنساء وقنون القتال الخاصة بالرجال )

لا يمكننا أن نقيم التربية القويمة على اساسها الا اذا ربينا النساء وعلماهن ما يتوقف عليه قيامهن بتربية اولادهن ، وقد اضطرب المسلمون في هذه المسألة فبعضهم يدعو الى تقليد الافرنج في تعليم نسائهم وتربيتهم وهم يظنون اننا اذا ربينا نساءنا على نمط تربية نسائهم ، وعلماهن انانهم ، نكون في دنيانا مثلهم في دنياهم ، وهذا جهل بهلم

الاجتهاد وطبائع الامم عظيم ، وخطاه في علم التربية والاخلاق كبير ، والصواب أننا نهدم بهذا التقليد مقوماتنا ومشخصاتنا القومية ، ولا نستطيع ان نبني به مثل مقوماتهم الاجتماعية ، فعلينا ان نربي بناتنا على آداب ديننا وفضائله واحكامه ، وان نعلم لثة ديننا ولغة وطننا ، وتاريخ أمتنا وديننا ، وعلم التربية وتدير المنزل والحساب وقانون الصحة ، وشيئا إجماليا من شؤون العالم واحوال العمران يعرفن به حاجات العصر الذي يشن فيه . ويدخل في هذا علم خربت الارض وتقوم البلدان (الجغرافية) والتاريخ العام

هذا هو الذي لا بد منه لكل امرأة ، وقد يحتاج الى تعليم بمضون العلوم العالية التي لا بد منها كالطب والجراحة ولا سيما القسم النسائي منه المتعلق بالحمل والولادة ، وكفن التعليم فان اللاتق بأداب الاسلام ان تكون المرأة هي التي تعلم البنات وتطيب النساء وكما يحتاج الى الطبيبات والمعلمات منا يحتاج الى المربيات في البيوت فان أمراءنا وكبرائنا ومقدمتهم من سائر طبقات الاغنياء لجؤا الى المربيات الاوريات . يلقون اليهن بأفلاذ اكبادهم من الذكور والاناث فيربينهم على آداب وأخلاق غير آداب ملتهم وأخلاقها ، ويملئهم لغات غير لغات أمتهم ودينهم ، ولا خير لهم في هذا ولا لأمتهم ، لانهم يتشكون بشكل لا يتفق مع شكلها ، فتفصل منهم ويفصلون منها ، فان النفوس في أفكارها وعقائدها وأخلاقها ورغباتها أشكالا كالأشكال الهندسية فاذا كنا لا نستطيع ان قيم بناء رصينا محكما منتظما من حجارة بعضها مثلث وبعضها مربع وبعضها كروي فكذلك لا نستطيع ان نكون أمة عزيزة راقية من أفراد مختلف اشكال نفوسهم العقلية والنفسية وما يترتب عليه من اختلاف أعمالهم وطوائمهم ، نعم ان هؤلاء الذين تربيتهم النساء الافرنجيات قد يكونون أرقى في الآداب الاجتماعية المصرية والنظافة من أمثالهم الففل المهملين ، الذين يركون الى ما يقتبسونه من العشار والمعاشرين ، ونضل السيف على الصلا لا يمدّ فضلا كبيرا ، وانما نطلب تربية نكون بها أمة حية عزيزة متحدة كغيرنا من أمم الحضارة ، ولن ندرك هذا بمثل هذا التفرنج التقليدي في كبرائنا ، بل هذا أقوى ما يجوز يتاوين ما نريد

#### تربية المدارس

يجب ان تكون عنايتنا بتربية المدارس اشد من عناية غيرنا لانا وقد تعذرت علينا التربية الأساسية الأولى بجهل نساءنا تربي تلاميذ سمرى الفسادي أخلاقهم ، والخرافات

الى عقولهم ، ولكننا لم نتم بهذا الواجب ولم تمن مدارسنا بالتربية النفسية ولا بالتربية العقلية التي هي وظيفتها الاولى ،

لا أعني بالتربية العقلية تعليم العلوم التي يرتقي بها العقل فان التعليم - وان كان يدخل في مفهوم التربية العام الذي يشمل تربية الجسم والنفس والعقل - قد خص بهذا الاسم دون سائر انواع التربية وصارت المقابلة بين التربية والتعليم من المقابلة بين العام والخاص . وانما أعني بالتربية العقلية ان يتوخى في اسلوب التعليم استقلال عقول الطلاب في الفهم والحكم في المسائل ، وتحرير الحقائق وأن لا يعمدوا أخذ المسائل الملعبة بالتسليم والتقليد ، فبهذا ترتب العقول وتمو الافكار وتخرج العلماء المستقلون الراسخون ، إنما سبب تقصيرنا في التربية المدرسية فقد الاساتذة الاكفاء القادرين عليها أو ندرتهم ، فانه يقل في المعلمين منا من تربي تربية صالحة يرجى ثمرها ، وانما يقوم بناء التربية على اساس القدوة والتأسي بالربي والاستفاضة من ينبوع فضائله وصفاته « وفاقده الشيء لا يعطيه » وقصارى ما يمكن أن يطالب به العقلاء من نظار المدارس واساتذتها هو أن يتكلفوا ما يجب عليهم من ذلك تكلفا عسى ان يصير ما يتكلفونه خلفا لهم أو لتلاميذهم ، وان يرشدوا الطلاب الى العناية بتربية انفسهم

### تربية المرء لنفسه

#### ايها الطلاب اتجاء ا

إنني اخصكم بالخطاب والتذكير في هذا القسم من اقسام التربية . سمعتم قولي في تقصير مدارسنا في التربية ورأيت في سببه ، وأزيدكم على ذلك أن المدارس التي هي أرقى من مدارسنا في الامم التي هي أرقى في الحضارة والعلوم من أمنا ، لا تستقل بخريج الرجال العظام ولا بتكميلهم في التربية والتعليم فان كثيرا من المتخرجين في مدارس أوربة الجامعة يكونون لصوصا وفوضويين وفجرة يفسدون في الارض ويسفكون الدماء . المدارس تفتح للطلاب ابواب العلم ، وتدلهم على طرق العمل لانفسهم ولقومهم أو جنسهم ، ولكنها لا تبوئهم تلك البيوت ، ولا تقودهم في تلك الطرق حتى توصلهم الى غاياتها ، وانما ذلك عليهم لاعلى المدارس ، وان بعض المديرين لشؤون المدارس او المسيطرين عليها قد يريدون من تربية النابتة وتعليمهم مالا تريده تلك النابتة لانفسها لو عقلت وعرفت طاقتها . فينبغي للاذكياء من طلاب العلوم ان يكونوا على بصيرة في تعلمهم وتربيتهم ، وأن يعلم كل واحد منهم أنه لا ينال السكال

الممكن الابجده الشخصي وعنايته بتربية نفسه وتكميلها  
ربوا عقولكم على الاستقلال في الفهم ، والاستدلال على المطالب ، لتكونوا  
علماء بأنفسكم ، لا ثقلة تحكون علم غيركم ، ليكن العلم صفة من صفاتكم لا صورا خارجية  
تعرض على مرآة أذهانكم  
ربوا أنفسكم على الفضيلة والتقوى وعلو الهمة وقوة الإرادة ومضاء العزيمة ،  
لتكونوا كلمة في أنفسكم ، وقدوة صالحة لامتكم ، إنني أعلم اننا كثر طلبة العلم منكم  
ومن غيركم يطلبون العلم لاجل المعاش لا لاجل تكميل النفس بالفضيلة ، ولا لاجل  
النهوض بالامة ، وأعلم مع ذلك أن الناس معادن كعادن الذهب والفضة ( كما ورد في الحديث  
الشريف ) وأن من كان معدنه شريفاً وجوهره كريماً لا يرضى لنفسه اذا عرف  
مزايا جوهرها أن تكون في مرتبة المعادن الخسيسة  
لا أقول إن من يطلب العلم الدنيوي لاجل السكيب يكون خسيساً مذموماً فان  
السكيب مطلوب بل ضروري ولا بد في انقائه اسبابه من العلم ، فمن يطلب العلم ليكون  
حاكماً أو طبيباً أو مهندساً أو صيدلياً أو تاجراً أو قائماً بغير ذلك من أعمال العمران  
حقيق بأن يكون محمداً في علمه وعمله ، وليكنه لا يفضل من هذه الجهة العوام  
والأمين الذين يعملون ما لا يتوقف على تعليم المدارس من أعمال العمران كالفعلة  
وصغار الصنائع والزرايع من حداد ونجار وخباز ووقاد في سفينة أو قطار أو حمام ،  
كل من يؤدي الأمانة عملاً من الأعمال التي تحتاج اليه يكون جديراً بالشكر والثناء  
على قدر انقائه له وبذل جهده فيه ، وباللوم والذم على قدر نقصه فيه ، ووقوفه  
دون الغاية التي يستطيعها من انقائه ، ولكن المعلمين في المدارس العالية يجب ان  
تكون خدمتهم لأمتهم أرقى من خدمة الفعلة والصنائع من العوام ، يجب ان يكون  
فهمهم متديماً ، يجب أن يكونوا قدوة لغيرهم في الفضائل والآداب ، والقيام بالمصالح  
العامة ، والمنافع المشتركة ، يجب أن يكونوا بذلك مربين لها ، وعمالاً لرفع شأنها ،  
ولا يكونون كذلك الا اذا عنوا بتربية أنفسهم على الفضيلة والتقوى ، فاننا نرى كثيراً  
من الذين تعلموا في أرقى مدارسنا ومدارس أوروبا العالية كانوا بفساد تربيتهم وبالآعلى  
الامة إما بسوء أخلاقهم وأتجارهم ، مصالحها ، وإما بفسادهم واستهانتهم بشريعتها وشعائرها ،  
فيجب أن تراعوا في تربيتكم لأنفسكم ، نسبتكم الى أمتكم ونسبها اليكم ، وان  
تقوا التقليد الذي يهدمكم عن مقوماتها ومشخصاتها ، وتوخوا أن تكونوا معها كبيوت  
الفحل المسدسة الشكل لكي يتصل ببعض طبقاتها ببعض ، وان تمايزت الطبقات أو

الافراد في أنفسهم بالعلم والحكمة كما تمتاز بعض بيوت العمل بوجود النسل فيها على ما لا عسل فيه

لا يتفاضل البشر في شيء كما يتفاضلون في قبح الناس والقيام بمناقبهم العامة ومصلحتهم المشتركة ، وان أمتنا لتشكو من قلة العاملين للمصلحة العامة ما لا تشكو من قلة العالمين بها ، فلو كان فينا كثيرون يعملون بما يملونه من مصالح الأمة ومؤثرون ذلك على أهوائهم لما كنا في هذه الحال السوءى التي نشكو منها . قال بعض علماء أوربة وكبرائها الاستاذ الامام : اننا نرى فيكم عن نذا كرههم فيجادوننا في كل علم وتراهم يهتمون للمصالح والامور كما تفهمها سواء ، فما هي علة تاخركم عنها ؟ الجواب الذي اتفق عليه العالمان السلم والافرنجى أن علة ذلك هي كثرة العاملين للمصلحة العامة في الافرنج وندرتهم فينا

ينبغي لسلك من كان كريم الجوارح عالي الهمة أن ينوي ويقصد المنفعة العامة في كل عمل يعملها ، فان أقل فائدة ذلك أنه يرقى نفسه وزيده كمالا وان لم يتم له ما ينوي ، لا يوجد عمل من الأعمال يتعذر فيه قصد المنفعة العامة ، وانني أضرب لكم مثلا واقفاً على هذا من أشرب ما يؤثر عن الامم الحية . حدثني الاستاذ الامام أنه في بعض أسفاره أراد اختبار بعض أفراد الطبقة الدنيا من الافرنج وكان راكباً في سفينة انكليزية فسأل وقادا فيها عن عمله الشاق وأجرته عليه ، ثم سأله . هل ترجو ارتقاه في حياتك هذه ؟ قال نعم . اني أفكر في عمل عظيم ، وأسمى الى ارتقاه كبير ، قال الاستاذ . ما ذلك ؟ قال الوقاد انك تعلم أن مسادن الفحم الحجري محدودة وانهم يقدرون لها التفاد في قرون معدودة ، فانا أفكر في طريقة للاقتصاد في اطاق الفحم تكون به امتا الانكليزية أغنى الامم به ، واستفيد انا من هذا الاختراع ثروة كبيرة ومجدا عظيما . فتأملوا وعلموا الله كيف توجهت همه ذلك الرجل الذي هو أدنى الناس حرفة وعملا الى أن ينفع أمتة العظيمة الفنية ونهجي ثروتها ويحمل الامم والدول في حاجة اليها ، وان ينفع نفسه من طريق قبح قومه ، وهو لم يتجاوز بذلك حدود عمله ، ولم يدفعه الضرور الى الاشتغال بما لا يعد من أهله ، أفيسجز كل فرد من أفراد المتعلمين أن يكون له مثل هذه النية الحسنة ، والهمة العالية ؟

أيها الطلبة النجباء ! إن شعوب البشر متقاربة في الاستعداد للسكالك الانساني ، واتا معاشر الشرقين عامة ، والمسلمين خاصة ، ما سبقنا الامم التي نراها الآن أعلى منا الى العلوم والحضارة لأن استعدادنا الفطري دون استعدادها ، فليكن ان تفكروا

دائما في استعدادكم ، وان تستملوه في طلب الكمال لا تسكم وأنتم ، وانتم قادرون على ذلك

ولم أوفى صوب الناس عيا كنتس القادرين على التمام واعلموا ان قيمة الذي يتم لاجل أن يتك قوتا مضمونا من الحكومة أو من غير الحكومة لا تكون الا بقدر جت التي يسي لتغذيتها ، وانها لقيمة قليلة لا يفضل بها الثور ولا الحمار الذي يأكل أخفاف ما يأكل الانسان ، ولا يتألم كإبتام الانسان . ومن نلو به حمة فيطلب أن يكون وجوده اوسع من محيط جسمه فانه يتك ما يطلبه فانما هو قام بفتح بده كان وجوده بقدر بده بحيث يكون ذكره مائلا له ، واذا هو قام بخدمة أمته كلها ، بعمل نافع يسهل لها ، فان وجوده المضمون يكون واسعا بقدر صفة أمته كلها ، لا يجعل ذلك قسرا من أقطارها ، واذا هو استطاع ان يفتح جميع البشر فيفضل ، فان وجوده يكون بقدر العالم الذي اتضح به ، وامثال هؤلاء الرجال هم الذين يوزن الواحد منهم بأمة ، قال تعالى « ان إبراهيم كان أمة » وقال في عباد له أعدهم نفس الامم « ونجعلهم أمة ونجعلهم الوارثين » وعلما ان ندعوه بقوله « واجعلنا للمتقين إماما » فعليكم أن تربوا أنفسكم على علو الهمة ، وخدمة الامة ، لتكونوا من الأئمة ،

ان الانسان لا يكون قدوة في الخير نافعا للناس الا اذا كان فاضلا كرم الاخلاق ، وان مساوي الأخلاق تشين العالم ، أكثر مما يشين الجهل رب الاخلاق الكرائم ، ولا يفسد الامم شي ، كفساد أخلاق علمائها وحكامها وزعمائها ، فاذا قصرتم في تربية ملكة القضية في أنفسكم ، فانكم تضررون أكثر مما تقيمون بملككم ، اما الطريق الذي ينبغي أن يسير عليه المرء في تربية نفسه فهو أن يلتزم الاعمال التي تطبع ملكتها في النفس ويكتفها ويواظب عليها ، ولا يتساهل في كبر ولا صغبر منها ، وان يجعل له مراقبا من إخوانه يذكره اذا لسي ، ويلومه اذا تساهل ، وأذكر لكم على سبيل المثال ما جر به نفسي : قلت لرفيق لي في طلب العلم اذا قدرت ان تحفظ علي كذبة واحدة ذلك حكمك في الجزاء عليها ، قلت له هذا وما انا بأمن على نفسي من فئات اللسان ، ونزغات الشيطان ، وانما اردت ان يكون ذلك حاملا لي على شدة الاحتراس من الكذب الذي هو شر الرذائل وأشد ما ضررا ، وأحمد الله أنه لم يستطع ان يحفظ في السنين الطوال التي عاشت فيها كذبة ما ، وما أبرئ نفسي

ولا أذكيا بهذا ، وإنما أريد أن أذكركم أيها الاخوة التجباء بما جربته واستفدت منه  
لعلمكم فتعبرون

#### الفضيلة والتربية الدينية

لا فضيلة الا بالدين فمن لم يقرب تربية دينية لا يكون على شيء يعتمد به من  
مكارم الاخلاق ، وقد ينشأ بعض الناس على الفضائل والآداب الدينية ثم يعرض  
له الشك في دينه او الجحود في الكبر ، ولكنه اذا استطاع التفلت من جميع عقائده ،  
لا يستطيع التفليت من جميع فضائله ، وقد يفتر هو بنفسه او يفرّ غيره بما بقي له  
من آثار صبغة الدين فيقولون ان الكفر قد اتفق مع الفضيلة ، ويففلون عما يحدثه  
له هذا الكفر من انواع الرذيلة ، وقد يسمون بعض الرذائل بأسماء الفضائل او  
يعدونها منها ،

يوجد أفراد من الملاحدة في البلاد الغربية يزعمون أنه يمكن أن يستغنى في  
تربية النفس عن الدين ، بأن يقام بناء الفضيلة على اساس العلم والعقل ، بأن يقنع  
المرابي من يريه بأن الرذائل ضارة بفاعلها ، أو بالهيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ،  
وان الفضائل دعائم المصالح والمنافع ، كأن يقال له : إن الكذب قبيح متى عرف به  
امرؤ بطلت الثقة به ، ومن لا يوثق به تفوته منافع كثيرة ، ويكون محتقرا في أنفس  
الناس ، ويقال له نحو هذا في مدح الأمانة والترغيب فيها ، ويرون ان هذا النحو  
من التربية أفضل واقنع من التربية الدينية التي اساسها عندهم التخويف من عقاب  
الآخرة ، وقد سمعنا بعض مقلداتهم من المتفرجين يلوكون أمثال هذه الكلمات  
ويتشدقون بها ويرون انهم ينطقون بالحكمة ، ويرفعون قواعد الفلسفة

كان سبب حدوث هذه الأفكار في أوروبا ما سبق من ضغط رجال النصرانية  
في القرون الخالية على رجال العلم ، واحرار الفكر ، اذ كانوا يقتلونهم نقيلا ، ويحرقونهم  
بالنار أحياء ، فكان من مقتضى سنة رد الفعل ان يغلو أحرار الفكر من المارقين  
من النصرانية في ذم الدين والتنفير عنه ، وقد وجدوا في كتب ذلك الدين وثقاليد  
وسيرة بعض رؤسائه مجالا واسعا للظن والتنفير ، ومع هذا كله لا يزال السواد  
الاعظم من الشعوب الافرنجية كلها يربون أولادهم من النشأة الأولى على آداب  
الدين وفضائله ولا سيما الانسكيز والجرمانيين منهم ، ويخصون الاناث بمزيد العناية  
في التربية الدينية لأنهن هن اللواتي يربين الأولاد في الطور الأول من حياتهم ،

ويؤثر عن الفيلسوف سبنسر - أكبر علماء الاجتماع والترية في هذا العصر - انه قال ما معناه : ان بعض الناس يريدون تحويل تربية الفضيلة عن اساس الدين الى اساس العلم ، واذا وقع هذا بالفعل يقع به الناس في فوضى أدبية لا يعلم أحد عاقبتها (١) .

مالنا ولسلام الناس وافعالهم ، اتنا نعلم بالنظر والاختبار أن إقناع جميع طبقات الناس بفتح الفضائل وضرر الرذائل وحماهم على العمل المطرد في ذلك مما لا سبيل اليه ، ولا مطعم فيه ، فالولدان لا يعقلونه ، وبداء العوام وجماهير الشعوب الهمجية لا يقتنعون به ، واكثر الاذكاء يحملون أنفسهم معيار المنافع والمضار ، فيؤثرون ما ينفعهم وان أضر بغيرهم ، ويطبقون ذلك على قانون فضيلة المنافع بالتأويل ، فاذا قدر الواحد منهم على أكل مال غيره بالباطل أو خيافته في عرضه وأمن اطلاع الناس عليه خان في المال والعرض ، واول ذلك في نفسه بأنه هو احق بالمال واجدر به ، لانه يضمه في مصارفة التي هي اقمع للناس وله ، وزعم ان صاحب المال لا يقدر على أن يأتي بمثل نفسه وعمله ، ولا يأتي ان يقول ان الحياة في العرض لا ضرر فيها ، لانه يفسر الفضائل والرذائل بحسب الشهوة والهوى ، وقد صرح أمامي من بعد في الطبقة المليمان حرية الفكر بأن أكل مال الناس بالباطل { أي بدون مقابل ولا تراش } يهدم الفضيلة ، اذا كان سارقه أو ناهبه أو الخائن فيه ينفقه فيما يراه أقمع للهيئة الاجتماعية مما ينفقه فيه صاحب المال ، ولا يخفى على عاقل ان الناس يختلفون اختلافا كبيرا في النافع والاقمع وضدهما فإبراه بعضهم نافعاً يستحق الشكر ، قد يراه بعضهم ضاراً يستحق قاعه القتل ، فاذا لم يكن لهم دين يحكم كتابه بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وجروا على استباحة كل منهم ما يرى أنه ينفع به ما لا ينفع غيره ، ألا يكونون في فوضى وخيا ، تفسد عليهم أمرهم ، حتى يأذن الله بهلاكهم ؟

يقول غوستاف لوبون في كتابه { روح الاجتماع } ان بعض القضاة عندهم في { فرنسة } احصى عدد المجرمين الذين حكمت عليهم محكمة الجنايات فكان ثلاثة ارباعهم من المتخرجين في المدارس العالية والربع من عوام الناس ، ونحن نعلم ان

(١) كنت أريد ان أذكر في هذا البحث كلمة للفيلسوف ابن رشد - أشهر حكماء عصره - ثم نسيتها وهي ان الفيلسوف الحقيقي لا يجوز ان يحمل الدين محل الشك والالتباس ويوضع موضع البحث لان ذلك يتضمن جعل مبدأ الفضيلة واساسها موضع الشك وذلك هدم للفضيلة اه بالمعنى ومثاله ان يشكك المريض في أصل الطب ويحمل على ان لا يقبل المعالجة والدواء الا بعد البحث في علم الطب نفسه واقامة الجهة على نفسه

الذين لا يجرمون من هؤلاء المتعلمين الماديين لا يصدهم عن الاجرام والحجاية الفضية وإنما يهدد بعضهم خوف الفضيحة او عقاب الحكومة اذا ظهرت الحجاية ، وبمضم اشتاقه بعمل يصرف عنها ، وعن الشعور بالحاجة اليها ، وبمضم تأثير الترية الدينية الاولى ، ولا يكاد يتعفف عن الرذيلة أحد تدفعه شهوته اليها وتقربه أسبابها منها ، الا المتدين الذي يراقب الله تعالى ويخشاه ، أو الفيلسوف العالي النفس اذا ثبت عنده انها رذيلة ، والا فالتاريخ سيرة كثير من الفلاسفة ملوثة بالذائل الكثيرة ، وهذا من معنى قولنا ان الفضية القائمة على قواعد الدين تكون عامة ينتفع بها جميع طبقات البشر في بداوتهم وحصارتهم بقدر حفظهم منها ، وأما الفضية العقلية النفسية المحضة فلا تكون الا خاصة ببعض أفرادهم المتأخرين ، على ما يعرض فيها من سوء التأويل أضرب لكم مثلا رجلا فقيرا بالبائس من بلدنا ( القلون ) يكنى « أبو حطب » كان يحمل الخضر والفراكة على ظهره ويصعد من بساطين القلون او طرابلس الشام الى جبل لبنان ينقل بها من قرية الى قرية لبيعها ويأكل من ربحها ، شب وشاب على ذلك - هذا الرجل البائس وجد مرة في شارع من شوارع ميناء طرابلس خال من الناس كيسا كبيرا مملوا بالنقود الذهبية ( الليرات ) فتناوله ووضع في سلة الخضر التي يحملها على ظهره وتقي يسير الهوننا على عادته الى أن رأى في الطريق رجلا روميا مملوفا يمدو ويصيح « خرب بتي » فعرف الرجل المسكين بالقرينة انه صاحب الكيس فناداه - وهو لا يلتفت اليه - فقال « ياخواجه تعال ياخواجه » فأقبل عليه الرومي فسأله ماذا ضاع لك ؟ قال كيس من الذهب فيه كذا من الليرات ، فأخرج له الكيس وقال : أهذا كيسك ؟ قال : نعم نعم قال خذه ، فأخذه الرومي ولم يعطه شيئا ، فسأله بعض الناس لماذا أعطيت هذا الرومي الحثيث الكيس وهو لم يعلم انه كان منك ولو أخذته لأغناك عن بيع الخضر طول عمرك ، فقال اذا كان هو لم يعلم أنني أخذت الكيس فان الله علم بذلك وهو مطلع علي

هذا ما فعله البائس الفقير « أبو حطب » بوازع الدين وهو مطمئن القلب منشرح الصدر ، أفرايتم لو كان قد تاقى من بعض الفلاسفة الماديين إنه لا إله ولا دين ولا حياة للناس بعد هذه الحياة وان الأمانة واجبة عقلا لأن الهيئة الاجتماعية لا تصلح بدونها ، أكان يعطي الكيس لذلك الرومي وأكثر هؤلاء الأروام عندنا اشرار شرسون لا يجيبهم الناس ولا يرجون منهم خيرا ؟ لا والله ، بل لو وجده بعض القضاة للماديين الذين عهد اليهم إقامة ميزان العدل وإحقاق الحق لا كلوه فرحين مستبشرين

اكتفي بهذا البيان الوجيز في اثبات كون تربية النفس على الفضيلة لا تتم الا بالدين ،  
وكون كل دين من الاديان أعون عليها من تلك الفلاسفة الناقصة ، التي لا يمكن ان  
تكون عامة ، وان كانت الخرافات والتقاليد الوثنية في اكثر الاديان تنافي كثيرا من  
التضائل ، وتكون مثارا لكثير من الرذائل

### الفضيلة في الاسلام وقاعدة دره المفاسد وجلب المصالح

أيها الاساتذة والطلاب الكرام! ان عذر من قال من علماء الافرنج بالرغبة عن  
التربية الدينية الى التربية المدنية هو أنهم وجدوا في الدين الذي نشأوا فيه وساير الاديان  
التي عرفوها خرافات كثيرة تضل العقل ومحول بين البشر وبين كمال الاتفاع بمواهبهم  
وما سخره الله لهم من الكون ، وتفسير وجدانهم على قبول ما يضرهم ولا ينفعهم ،  
ولو عرف هؤلاء العلماء حقيقة الدين الاسلامي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله التي  
جرت عليها لما قالوا ذلك القول ولما ذهبوا الى ذلك المذهب على الاطلاق

لو عرفوا الاسلام من كتابه وسنته ... لامن سيرة أهله في هذه الازمنة ... لو وجدوا  
في أصوله كل ما يروونه نافعا من تربية النفس على اجتناب الرذائل والمفاسد لضروها ،  
والنزام التضائل ومراعاة المصالح لنفسها ، فان بناء الاحكام والاعمال على قاعدة دره  
المفاسد والمضار وجلب المنافع ومراعاة المصالح ، من القواعد الاسلامية المتفق عليها ،  
ومن أصول ديننا ان الله غني عن العالمين رحيم بهم فاحرم عليهم شيئا الا لانه  
ضار بهم ، ولا أوجب عليهم شيئا الا لانه نافع لهم ، « يريد بكم اليسر ولا يريد بكم  
العسر » وقال تعالى فيمن آمن من أهل الكتاب « الذين يتبعون الرسول النبي الأمي  
الذي يجدهم مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر  
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الجبائث ويضع عنهم اصرهم والاعلال التي كانت عليهم »  
وان المعروف هو ما عرفته العقول القويمة ، والطباع السليمة ، والمنكر ما أنكرته ،  
والطيب ما يطيب للناس لئفمه ولذته والحديث ضده ، وقد ضبط بعض علماءنا اشياء  
المنافع بخمس كلمات وهي ١ حفظ الدين ٢ وحفظ النفس ( أي حفظ ذوات الناس ان  
يستدى عليهم بالقتل او الايذاء ) ٣ حفظ العقل و٤ حفظ العرض و٥ حفظ المال

ان القرآن الحكيم قد قرن فريضة العبادات المحضة ببيان منافعها فقال « وأقم  
الصلاة ان الصلاة تسمى عن الفحشاء والمنكر » أي ان الذي يقيم الصلاة على وجهها  
المطلوب تطهر نفسه وتزكو بمناجاة الله وذكره وتلاوة حكم القرآن وعبره ، وتصبر

مراقبته تعالى ملكة له ، حتى تقفر نفسه من الفواحش والمنكرات ، وقال « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » فبين ان الصيام يقصد به تربية ملكة التقوى وهي ان يملك الانسان نفسه وهواه فيسهل عليه انقضاء ما يضره ويشينه في دينه ودينياه ، وذلك ان من تعود ترك الشهوات التي لا يستغني عنها لحفظ شخصه وحفظ نوعه وهي الاغذية والوقاع يكون أقدر على منع نفسه عن غيرها من الشهوات والأهواء الضارة غير الضرورية ، ومما جاء فيه عن الحج قوله « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في ايام معلومات » الحج وأما الآيات في فوائد الزكاة وبذل المال في سبيل الله - وهي سبيل الحق والخير - فكثيرة . فاذا كان هذا الكتاب الحكيم يملل امهات العبادات ببيان منافعها وفوائدها فهل يأتي أن تملل الاحكام الدنيوية والآداب الاجتماعية بالمنافع والفوائد ؟ كلا انه ارشدنا اليها بمثل قوله « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » ومثل قوله « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »

أيها الاخوة الكرام !

لا يمكنني في هذا الوقت القصير ان أطيل الشواهد على موافقة اصول الاسلام وفروعه للعقل والفطرة البشرية ومصالح الناس ومنافعهم وأما اقول اني مستعدا لقامة الحججة على كل من يدعي خلاف ذلك فمن عرضت له شبهة فيه فليوردها علي في حال القرب ، وايسكتها الي في حال البعد ، وانا زعيم ان شاء الله تعالى بكتفها واقناعه فيها ، اذا كان طالبا للحقيقة بالاخلاص ، وقد جربت هذا مع كثير من الشرقيين والغربيين كان لي صاحب في مصر من احرار الانكيز اسمه متشل انس كان وكيلاً لظفارة المالية ، وقد جرى بيننا مذاكرات كثيرة في المسائل الدينية وغيرها وكان كثيرا ما يعترض على بعض المسائل الدينية في الاسلام أو في كل دين وكنت اذا بينت له حقيقة الاسلام فيها يتعجب ويقول لي تارة « هذه فلسفة لا دين » وتارة « هذا رأيك وفلسفتك ما هو الاسلام » وقال لي مرة « اذا كان هذا هو الاسلام فانا مسلم » ومرة أخرى « اما ان اكون انا مسلما واما ان تكون أنت كافرا » ومرة ثالثة « ما اسمع مثل هذا الكلام المقبول عن الاسلام الا منك او من الشيخ محمد عبده افلا يوجد مسلمون غيركما » ومرة رابعة « رأيت اذا سألت عن هذا بعض علماء الازهر يقول هذا الذي قلته ؟ اذا قل هذا علماء الازهر فانا اكون مسلما » انني بهذه التجارب وبما أعلم من حقيقة الاسلام وموافقته لفطرة البشر ومصالحهم

ومن حاجتهم الى الدين بمقتضى فطرتهم ، وبما في القرآن من الوعود الصادقة - بهذا كله اعتقد ان الاسلام سينتشر في جميع الامم الغربية والشرقية ، وما حجب اعم الحضارة عن محاسن الاسلام الاسوء حال المسلمين والجهل بحقيقته وتفسير دعاة الدين ورجال السياسة عنه وعن أهله

اتنا نحن المسلمين قد صرنا حجة على ديننا بما فشا فينا من البدع والخرافات ولو كنا مستمسكين بمروته ، محافظين على سنته ، لهم الخافقين ، فان انتشاره السريع في العصر الأول لم يكن الا بحسن حال أهله وفضائلهم وأعمالهم كما اشترنا الى ذلك في الكلام على نشأة الاسلام وفصلناه بعض التفصيل في خطبتنا الختامية لاحتفال جمعية ندوة العلماء ، وقد وصلنا الى دركة من الانحطاط صار فيها الوثنيون في هذه البلاد ارقى من المسلمين علما وعملا وأخلاقا ، هؤلاء الذين لا يزال الملايين منهم يسرون في الاسواق والشوارع مكشوفى المورات ، عراة الاجسام ، حفاة الأقدام ، موسومي الجباه بأصباغ الاصنام ، بل صار هؤلاء الذين يعبدون الأحجار والأنهار والأشجار والقروذ يطعمون في إدخال المسلمين في دينهم ، وقد صاروا يتصدون الى دعوتهم ، وقد بلغني هنا انه دخل في دينهم طائفة ممن يمدون من المسلمين ، وان لم يكونوا منهم الا في الاحكام الرسمية ، والاحصاءات الجغرافية ، ولا يوجد شعب اسلامي محتاج في حياته السياسية والاجتماعية الى الدين كاحتياج مسلمي الهند ، فانهم اذا أحيوا الاسلام فيما بينهم تعود كثرة الوثنيين الى قلة وقلة المسلمين الى كثرة « واتما العزة للكافر » كما قال الشاعر العربي

هدنا وانه لا حياة للاسلام ، الا باحياء هداية القرآن ، ولا تحيا هداية القرآن الا باحياء اللغة العربية ، ومن حسن حظكم أن حكومتكم رغبة في إحياء لغة دينكم ، فاذا قصرتم فيها فلا عذر لكم ، عليكم ان تحيوها في هذه المدرسة التي هي اكبر المدارس الاسلامية في الهند ، عليكم ان تتعلموها كما تتعلمون اللغة الانكليزية بالتكلم والقراءة والكتابة ، اذا كنتم محتاجين الى اللغة الانكليزية لأجل دنياكم ، فانتم محتاجون الى اللغة العربية لأجل دينكم ودنياكم ، فالحياة الصورية المادية ، لا تقوم وتثبت وتتمى الا بالحياة الأدبية المعنوية ، والا فان الوثنيين قد سبقوكم في جميع العلوم والأعمال الدنيوية ، وهم اكثر منكم عددا ، وأوفر مددا ، فلم يبق أمامكم الا قوة دينكم ، تبلغون بها ما تريدون في دنياكم وآخرتكم ، لانها قوة الحق والخير وهي اكبر قوة في الكون

العزيمة وتربية الإرادة

أشرت في سابق كلامي الى ما يجب من تربية الإرادة ، وإحكام ملكة العزيمة ، وهذا النوع من التربية هو العزيز النادر الذي يقل فينا من يشكر فيه ، وفي الحاجة الشديدة اليه ، وقد رأيتني مضطرا الى التويه بمد تكبير الطلبة النجباء بالواجبات التي تطلبهم بها أمتهم وماتهم ، فان ضعف الإرادة يستكبر هذه الواجبات ، حتى يعدها من المحال ، الذي لا يدرك ولا ينال ، وأما قوي الإرادة فانه يراها من أقرب الأمور مثلا ، واسهلها طريقا ، وهو لا يبني ركوب الصعاب ، واقتحام العقاب ؟ ، في المهام العظيمة الاعلام ، البعيدة الأرجاء ، اذا ظن انه يدرك بها الأمل وينال الأرجاء ايها الطلبة النجباء !

لا يفاضل الناس في شيء تظهر به مزاياهم كنتفاضلهم في قوة الإرادة ، وما أنى الله الانسان قوة يعلو بها شأنه ، ويظهر بها استعداده ، كقوة الإرادة ، بقوة الإرادة تصرف الانسان في الطبيعة ، وسخر لمنافه انواع الخليقة ، وعمل بعض افراده من الاعمال ، مالا تعلمه الامم في الاجيال ، وقد عبر بعض كبار الصوفية عن سمر الله الاعظم في ارادة الانسان بكلمة كبيرة جدا قد يستكبر ظاهرها ويعداساة ادب مع البارئ عز وجل ولكن هذا ان عد من لوازم الكلمة فهو ليس مرادا لمن قالها . تلك الكلمة الكبيرة هي قوله « ان لله عباد (١) اذا أرادوا أراد » يعني ان أصحاب الإرادة اذا جزموا ارادتهم بأن كذا لا بد ان يكون فان ذلك يكون سببا كافيا لان يكون وتعلق ارادة الله تعالى به بحسب سنته في خلقه ، فكان ارادتهم شعبة من الإرادة الالهية ، اولئك اصحاب العزائم الذين تشهد لهم أعمالهم المنظمة ولا شهادة أبلغ من شهادة الاعمال

أيها الشبان النجباء : اعدوا أن من فقد ارادته فقد نفسه ، وكان آله في يد غيره او تابعا لهوى نفسه ، ولا يمكن ان يكون رجلا عظيما ، ربوا إرادتكم بحملها على ترك الهوى الباطل ، وتمويدها حمل المكاره في سبيل الحق والخير ، لتكونوا مالكين لا تقسكم لا مملوكين لها ، ومن كان عاجزا عن التصرف في نفسه ، فهو جسد بان يكون أعجز عن غيره ، ضعف الإرادة لا يكون الا ندلا جبانا ، والجبان لا يكون

( ١ ) رويها الكلمة بالسكون لاجل السجع وهو موافق للنة ربيعة والا فالتياس ان يقول « عبادا » ويصح ان يقول حينئذ « ارادا » في السجعة الثانية

الإخاء أو منافقاً، فليكنم بالشجاعة والمزينة والنجدة وعلو الهمة ، فبغير هذه الصفات لا تظهر مزايا الانسانية فيكم

لا تهولنكم الواجبات التي تطلبها الامة منكم فان الارادة الصادقة لا يقف امامها شيء ، الارادة الصادقة أعظم قوة خلقها الله في هذه الارض ، فلا تنفلوا عن تربيتها في انفسكم والاستفادة منها في بلادكم ، وقل من صدقت ارادته في طلب شيء ولم يلقه ، اللهم اذا طلبه من أسبابه ، ودخل عليه من بابه ، ان مدرستكم هذه شاهد من أصدق الشواهد على صحة ما أقول ، فاتم تعلمون ان مؤسسها السيد احمد خان رحمه الله تعالى قد صادف في سبيلها المصاعب ، واحتمل المتاعب ، ولولا قوة ارادته ورباته لفضي عليها في طفوليتها ، فهو بما كان عنده من العزيمة والثبات قد غالب المصاعب وصارعها ، حتى غلبها وصرعها ، ووصلت المدرسة الى الدرجة التي ترونها من الصحة والنظافة ويرجى لها المزيد ، فهل كان يخطر مثل هذا في بال أحد من الجبناء أصحاب الارادة الريضة في طور تأسيس هذه المدرسة ؟ ولو قصد السيد احمد خان ما هو أعلى من ذلك وأعم فائدة لئله بقوة الارادة ، وقد علم أن المدرسة أنشئت لغرض لا يد للمسلمين في الهند منه فكانت الطريق الموصل اليه ، وان هذا الغرض ليس هو كل المطلوب لامة مثل أمتكم هي في بلادكم على خطر اجتماعي واقتصادي بسبق الوثنيين لكم في العلم والثروة والأمناد على كثرتهم وفتنتهم ،

انني كورت النذر ورددت الذكرى عسى ان تسبوا بأصحاب الاستعداد منهم الى تربية أنفسهم ، واعدادها لخدمة أمتهم ووطنهم ، وعدم الرضا لها بالضمة والحوار ، والقناعة بقرنيه هذا الجسد الحيواني باللباس والقوت ، كونوا قدوة صالحة لامتكم بالفضيلة والقوى والحفاظة على شعائر الدين وفرائضه ، كونوا مستقلين في عقولكم وأفكاركم ، مستقلين في ارادتكم ، بحيث لا تخافون في سبيل الحق والمصلحة لومة لائم ، واياكم والتقاليد والبدع الغريبة التي تبعد أهل ملتكم عنكم وتمدكم عنها ، كونوا جامعين لا مفرقين ، كونوا مرغبين للامة في العلوم المصرية التي تسمى الثروة ، وترقي جميع مرافق البشر ومنافعهم ، ولا تكونوا بسيرتكم الشخصية منفرد لهم منها ، ان المسلمين في بلادكم اقسما في كل بلاد دخل فيها التعليم الأوربي الى ثلاثة أقسام ، قسم قنن بالجديد عمقت كل القديم ، وقسم جمد على القديم فهو يفر من كل جديد ،

وقسم معتدل بينهما ، يأمر بالمحافظة على القديم النافع وترك الضار منه بالتدرج ، وإضافة ما لا بد منه من الجديد بشرط حفظ مقومات الأمة ومشخصاتها والحذر من فنانها في غيرها ، فكونوا من المعتدلين الجامعين فأنتم في قومكم أعرف من غيركم بالحاجة الى هذا الجمع ، وخطر الخلاف والتفرق ، وأمامكم الأمة الانكليزية في سيرتها وأخلاقها عبرة لكم لا تضاهيها عبرة ، انها لا تترك شيئاً من عاداتها ولا تقبلها ولو الى أحسن منه الا اذا اضطرت اليه فانها تأتيه بالتدرج والا أصرت عليه كما تصر على مقاييسها ومكاييلها ولا تتركها الى المقاييس والمكاييل التي هي خير منها ، والعاقلة من اعتبر بخيره والله الموفق وإياه أسأل أن يتم النفع بكم لامتكم انه سميع مجيب

## بشائر عيسى ومحمد<sup>٥</sup>

### ﴿ في المهدين العتيق والجديد ﴾

٥

(١) ما يدرينا أنه وبخهم ولم يصل إلينا ذلك مع العلم بأن نفس كتاب الانجيل اعترفوا بأنهم لم يكتبوا كل ما قاله المسيح أو ما فعله فقال يوحنا انه لم يكتب كل ما فعله المسيح وأن أعماله كثيرة جداً لا يسعها العالم فلا بد أن كثيراً من أقواله التي قالها حين فعل هذه الاعمال لم تكتب أيضاً ( يو ٢١: ٢٥ )

على أن المسيح صدق ما فيها من الشرائع والنبوات فقط كما في انجيل متى ١٧: ٥ و ١٨ ولم يتعرض للتاريخ الذي فيها بشيء ، وهذا الذي في انجيل متى فإن كثيراً من هذا التاريخ غير صحيح وبعضه خرافي لا يمكن أن يقره المسيح كقصة شمشون ودليلة ( قض ١٦ : ٤ - ٢٢ ) ووقوف الشمس ليشوع ( يش ١٠ : ١٣ ) وغير ذلك كثير (٢) لماذا لم يوجب المسيح اليهود على السكتب الا بوكريفة ( الكاذبة ) التي

كانت في الترجمة السبعينية وقتئذ وكانت مسلمة عند اليهود والنصارى كما هي مسلمة عند الكاثوليك والأورثوذكس إلى اليوم ؟ فإن قيل إنهم ربما لم يكونوا

٥) تاه لما نشر في الجزء السابع ص ١٩٤ بقلم الدكتور محمد توفيق سدي